Arabic Renewal Journal مجلة التجديد العربي
مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يناير2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

أسطورة السحر بين الثقافتين المصرية واليمنية بحث في المشتركات السوسيوثقافية

The Myth of Magic Between The Egyptian & The Yemeni Cultures

A Study of Sociocultural Commonalities

أريج البدراوي زهران

باحثة من مصر

أستاذ علم الاجتماع الثقافي المساعد

Arij.elbadrawy@gmail.com

الملخص:

تتلخص إشكالية البحث في سؤال جوهري؛ ما المشتركات الاجتماعية والثقافية المتصلة بموضوع السحر التي تجمع الشعبين المصري واليمني؟ ولكن لم يتناول البحث السحر من منظور دراسة الاعتقادات والممارسات الحالية لدى الشعبين؛ بل من خلال التعرف على الأسطورة السحرية التاريخية لدى الشعبين. مما تتطلب في البداية عرض لآراء علماء الاجتماع والتأكيد على اهتمامهم بدراسة موضوع السحر منذ القدم، فقد اهتم به ابن خلدون وكذلك نال اهتمام علماء الأنثروبولوجيا، كما تم التفرقة بين السحر والدين على يد العديد من علماء الاجتماع. وكذلك اهتم علماء الاجتماع بدراسة الأساطير وهي النقطة الثانية التي أُفردت للدراسة في هذا البحث، أمّا عن ثالثًا فهي عن المشتركات المصرية اليمنية التي تكونت بفعل العوامل الجغرافيا وتعمقت نتيجة التاريخ المشترك بين البلدين مما يبرر التشابه بين الشعبين في أسطورة السحر وهي تمثل النقطة الرابعة والأخيرة في البحث التي جاءت بعنوان أسطورة السحر عند المصريين واليمنين. وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي والمنهج المقارن لتحقيق أهدافه.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الكلمات المفتاحية:

الأسطورة– أسطورة السحر – الثقافة المصرية اليمنية

ABSTRACT:

The dilemma of the current research can be summed up in a fundamental question; What are the sociocultural commonalities related to magic that bring together the Egyptian and Yemeni peoples? However, the research deals with magic not from the perspective of studying the current beliefs and practices of the two peoples; Rather, through identifying the historical magic myth at the two peoples. This required, at the outset, introducing the views of sociologists with an emphasis on their interest in studying magic since ancient times. Ibn Khaldun paid attention to magic, and it captured the attention of anthropologists as well, while many sociologists differentiated between magic and religion. Sociologists also paid attention to the study of myths, which is the second point singled out for study in this research. The third point is about the Egyptian-Yemeni commonalities that were formed by geographic factors and deepened as a result of the common history between the two countries, which justifies the similarity between the two peoples with regard to the myth of magic; which represents the fourth and final point in the research; titled the myth of magic between the Egyptians and the Yemenis. The research relied on the historical approach and the comparative approach to achieve its objectives.

Keywords:

The Myth, The Myth of Magic, The Egyptian & The Yemeni Cultures

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

مقدمة:

الأسطورة هي المعتقدات المشبعة أو المحملة بالقيم والمبادئ التي يعتنقها الناس، والتي يعيشون بها أو من أجلها، ويرتبط كل مجتمع بنسق من الأساطير يعبر عن الصور الفكرية المعقدة التي تتضمن في الوقت نفسه كل نواحي النشاط الإنساني. (شبحة، 2016، ص110)

وأمّا عن المعتقدات أو ما تعرف بالمعتقدات الشعبية فهي المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي، وكان يطلق عليها في الماضي اسم الخزعبلات أو الخرافات، وتمتاز تلك المعتقدات عن باقي الأشكال الشعبية بعدة صفات، وهي:

1. إنها خبيئة الصدر وتتخمر فيه وتكون مبالغة أو مخففة تبعًا للخيال الفردي.
2. توجد لدى كافة أفراد الشعب في الحضر والريف، ولدى المثقفين وغير المثقفين. لأن التفكير قبل المنطق موجود لدى كل الناس لكن بدرجات متفاوتة، وبالطبع في كل الطبقات وعلى كافة المستويات.
3. ظهرت نتيجة وجود الأفكار، أو المواقف الإنسانية العامة، أو الأفكار الأساسية، كأفكارهم عن الزلازل والبرق والخوف، وتصورات الناس حول الأحلام والنوم والموت.
4. التناظر الثقافي بمعنى وجود ظواهر ثقافية مشابهة توجد في مختلف أنحاء العالم مثل: المعتقدات الشعبية حول الأرواح والشياطين، والتي انتقلت من خلال التقارب والانتشار.
5. إنها لا تاريخية، أيّ لا تنسب إلى تاريخ معين، بل أنها لا تتبع صنع فرد بعينه.(مزيد، 2018، ص 59)

وقد تنبه الباحثون منذ وقت طويل إلى تشابه الأفكار بين أصحاب الحضارات الكبرى والقبائل البدائية في جوانب عدة منها الأفكار الدينية، إذ يرى بعض المهتمين بتاريخ الدين إن تشابه الظروف يولد تماثلاً في الآراء والأفكار والعادات من الناحيتين النظرية والعملية، والإنسان الحديث حسب هذه النظرية مر عبر تاريخه الطويل بمراحل عديدة تطور بعضه وأنشأ الحضارات المتقدمة

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

وتأخر البعض الأخر وبقى محافظًا على تراثه القديم فأصبح يُعد من الأقوام البدائية.(يحيي، 2015، ص 14)

فقد وضح لدى مفكري القرن التاسع عشر التشابه بين التنظيمات البدائية، وبين تنظيمات أصول الإنسانية. وقد أشار ماسكراي Masqueray إلى التشابه كذلك بين تنظيمات البربر في شمالي أفريقيا وبين تنظيمات المدينة اليونانية البدائية. وفي مؤلفات شهيرة لجيمس فريزر James Fraser، ذكر أن بعض التنظيمات البدائية تحولت شيئًا فشيئًا حتى أصبحت تنظيمات لشعوب أكثر مدنية. ولكن تفسيرات جيمس فريزر كانت قائمة على نظام في التفكير يتشابه عند جميع الناس في جميع العصور، أمّا عن وجهة نظر ل.ليفي برهل L.Levy- Bruhl فقد كان فرضه على عكس ذلك حيث يقول: "إن نظام الفكرة البدائية يختلف عن نظام الفكر عند رجال هذا العصر، ولا يكمن هذا الاختلاف في معتقداتهم وتفسيراتهم للعالم المتغير فحسب؛ بل وفي طريقة التدليل على الأشياء كذلك. وأصل المطابقة التي تغلب على طابع تفكير هذا العصر تعارض طريقة المشاركة عند البدائيين، فقد يكون الإنسان هو ذاته أو شيئًا آخر. وتمتد الذاتية الإنسانية في كل توابعها ويمكن للمرء أن يؤثر عليها عندما يمتلك طيفها أو بعض أجزاء من جسمها". وهذا يؤدي بنا إلى قوانين السحر، فيتمثل السحر كأنه انحراف للتكنيكية بل هو تكنيكية كاذبة، وعلم كاذب فقد تتفق تقريبًا طرائقه مع قائمة السفسطة كما يحددها المنطق الكلاسيكي، وأهم بنود هذه القائمة هي قانون الاتصال وقانون التشابه. وقد أشار لويس فيبر Louis Weber إلى كيفية أن السحر كان يمثل أقصر الطرق، وتفهم الأمور ويتكون على الأخص عن طريق التشابه مع العلاقات الاجتماعية. (بوتول، 2021، ص 114-115)

أولاً: اهتمام علماء الاجتماع بدراسة السحر

اهتم "ابن خلدون" بموضوع الأرواح والملائكة والمعارف غير الحسية والعلوم الغيبية، وفرق بين التصوف والسحر، وذلك عند تناوله للعلوم بصفة عامة في الباب السادس من مقدمته الذي جاء بعنوان "الباب السادس في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه ولواحق" حيث جاء في فصل رقم 4 "فصل في علوم البشر وعلوم الملائكة" "...ثم نستدل على عالم

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

ثالث فوقنا نما نجد فينا من آثاره التي تلقى في أفئدتنا كالإرادات والوجهات نحو الحركات الفعلية، فنعلم أن هناك فاعلاً يبعثنا عليها من عالم فوق عالمنا، وهو عالم الأرواح والملائكة، وفيه ذوات مدركة، لوجود آثارها فينا..." (ابن خلون، ص1014) وكذلك في فصل رقم 5 من ذات الباب "فصل في علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام" فيقول: "فوجب من ذلك كله أن يكون للنفس الإنسانية استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الأوقات وفي لمحة من اللمحات، ثم ترجع بشريتها وقد تلقت في عالم الملكية ما كُلفت بتبليغه إلى أنباء جنسها من البشر" (ابن خلدون، ص 1016) وفي فصل رقم 18 "علم التصوف" يوضح أن "..هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبًا كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله، ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها. والروح من تلك العوالم. وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت الروح، وغلب سلطانه وتجدد نشوه، وأعان على ذلك الذكر....، وبكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الإدراك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلاهي، وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الأفق الأعلى، أفق الملائكة. وهذا الكشف كثيرًا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم" (ابن خلدون، ص 1100، 1101) " ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحً كاملاً عندهم إلا إذا كان ناشئًا عن الاستقامة؛ لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وإن لم يكن هناك استقامة كالسحرة وغيرهم من المرتاضين. وليس مرادنا إلا الكشف الناشئ عن الاستقامة." (ابن خلدون، ص 1102)

وكذلك لم يكن "هيجل" مهتمًا بالسحر في حد ذاته، لكنه خصص له موقعًا في المرحلة الأولى من مراحل الدين الثلاث التي ابتكرها. وقد كانت تلك المراحل الثلاث كما يأتي: الأديان التي كانت فيها الطبيعة مشبعة بالأرواح، وأديان الآلهة الممجدة للفردية فوق الدنيوية، وأخيرًا المسيحية التي اعتبرها مزيجًا بارعًا من المرحلتين الأخريين، ومن ثم، كان السحر أقدم أشكال الدين، وأكثرها بدائية وبساطة، والذي قال "هيجل" عنه إنه لا يزال موجودًا بين شعوب معينة، مثل شعب الإسكيمو. (ديفنز، 2017، ص19)

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

وكان المُنظِر الاجتماعي البريطاني "هربرت سبنسر" (1820–1903) أول من نشر نموذجًا تطوريًّا اجتماعيًّا صور فيه السحر على أنه يحدد نموذجًا بدائيًّا للدين يقوم على العلاقات المتجانسة وعبادة الأسلاف، ولكنه كممارسة قابل للتكيف مع تطور الدين، بحيث يستطيع الدين والسحر التعايش معًا. لكن منافسة إدوارد بيرنت تايلور (1832–1917) هو الذي أثار مخيلة الدارسين – بصفته أول أستاذ في علم الأنثروبولوجيا في جامعة أكسفورد– وأكد كون السحر موضوعًا رئيسيًّا في بحوث الأنثروبولوجيا؛ فقد وضع في كتابه المنشور في مجلدين "الثقافة البدائية" (1871)، نموذجًا يذهب إلى أن الحالة الإنسانية كانت عالمية، لكنها تطورت بمعدلات مختلفة. وعلى حد قوله، فإن الفكر الهمجي يمكنه أن يتواجد في المجتمع المتحضر الحديث، بل وتواجد بالفعل. ويرى تايلور أن السحر كان موجودًا في بادئ الأمر باعتباره تعبيرًا عن فكرة الإحيائية التي ترى أن الأشياء وكذلك البشر لها أرواح أو جوهر روحاني. وكان الفكر الإحيائي والسحر سمة للشعوب التي تحتل مراتب دنيا على مقياس الإنسانية، ثم تطور الدين كفئة مستقلة من مفهوم الروح البشرية، ثم كانت الخطوة التطورية التالية هي التحول من الشرك إلى التوحيد.(ديفنز، 2017، ص20) وقد صك "تايلور" مصطلح العلم الزائف لوصف السحر، ويعني بهذا أن السحر على غرار العلم يفسر العلاقة السببية بين الأشياء ويستغلها. لكنه علم فاسد؛ لأن افتراضاته وتفسيراته البدائية حول السب والنتيجة كانت دائمًا خاطئة. ووجه "تايلور" هجومه إلى السحر، الذي وصفه بأنه توليفة وحشية، وأحد أخبث الأوهام التي حيرت الجنس البشري. وقد شبه الثقافات البدائية بالأطفال لأنها تحتاج مثلهم إلى توجيه كي ترتقي إلى مرحلة أعلى من الفكر.(ديفنز، 2017، ص21)

وبذلك نجد اهتمام الأنثروبولوجيون وعلماء الاجتماع بدراسة السحر، إذ حاولوا معالجة هذا الموضوع في شيء من التفصيل وخاصة القدامى منهم، وعلى رأسهم "تايلور"، كما أولاه "جيمس فريزر" james G.Frazer – والذي عمل أستاذًا في جامعة ليفربول– جزءًا كبيرًا من اهتمامه وخاصة في كتابه المعروف (الغصن الذهبي) The Golden Bough(1890)، والذي ضمنه نظريته المعروفة في السحر والدين، ثم في كتابه "الأنثروبولوجيا" حين عرض للعلم الصحيح والعلم الزائف. ثم جاء "إيفانز بريتشارد" بدراسته المعروفة عن "الأزاندي". و"مالينوفسكي" في مؤلفه الشهير السحر والعلم والدين، وآخرون كثيرون. بل يمكن القول إنه لا يوجد باحث أنثروبولوجي قد تعرض للثقافات

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

البدائية لم يتناول السحر والممارسات السحرية بطريقة أو أخرى، كما توجد معالجات "مارسيل موس" M.Mauss و"هنري هوبير" H.Hubert و"روجيه باستيد" R.Bastide وقوانينه في السحر ومحاولته تقديم تفسير سيكولوجي للسحر وتأكيده أن المعتقدات السحرية لا تخضع للتفسير الديني أو العلمي.(الخطيب، 2017، ص 145)

وبذلك نلاحظ أن قضية التفرقة بين الدين والسحر هي القضية التي شغلت بال الكثير من العلماء، فكما سبق أن ذكرنا، إن "تايلور" اعتبر السحر والممارسات السحرية من قبيل العلم الزائف، محاولاً أن يفرق بينه وبين الدين، وعلى الرغم من أن السحر والدين يشتركان معًا في الاهتمام بعلم ما وراء المحسوسات، كما أنهما يتعلقان بالنواحي الخفية الغامضة من التجربة الإنسانية، إلا أن الممارسات والطقوس السحرية وكل ما يصدر عن الساحر من أفعال سواء أكان يستعين في تحقيقها بالكائنات الروحية أو بعناصر أو عوامل أخرى تختلف في طبيعتها اختلافًا تامًا عن مظاهر الدين كما يرتبط مفهومه في أذهان معظم الناس.

أمّا "فريزر" فقد اعتنق مذهبًا تطوريًّا في رؤيته للعلاقة بين السحر والدين فالفكر الإنساني انتقل من السحر إلى الدين إلى العلم أيّ حالات ذهنية ثلاث. وأيًّا كان الأمر فإن المحدثين الآن لا ينظرون إلى الدين والعلم والسحر على أنها حالات متمايزة يمر بها المجتمع الإنساني في تطوره، وإنما يعتبرونها ثلاثة أنماط من النشاط العقلي. ويحلل "فريزر" مبادئ الفكر التي يقوم عليها السحر في مبدأين:

1. الشبيه ينتج الشبيه.
2. إن الأشياء التي كانت متصلة من قبل سوف يستمر تأثيرها حتى بعد انفصالها الطبيعي.

ويسمى المبدأ الأول قانون المشابهة، والمبدأ الثاني قانون الاتصال. من الأول يمكن إدراك أن الساحر يمكن أن يحدث أيّ تأثير يريده بمجرد المحاكة أو التقليد. ومن الثاني فإنه يستطيع

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

إحداث أيّ شيء في الجزء المادي وسوف يكون له تأثير متعادل مع الشخص الذي كان هذا الشيء المادي متصلاً به من قبل.(الخطيب، 2017، ص 145- 146 بتصرف)

بينما عالم الاجتماع الفرنسي "إميل دوركايم" (1858-1917) رفض في كتابه "أشكال أولية للحياة الدينية" (1912)، وفي غيره من أعماله فكرة تعريف الدين من منظور ينحصر في نطاق الآلهة والكيانات الروحية؛ وبهذا أطاح في وقت واحد بتعريفي "تايلور" و"فريزر" للسحر. وبدلاً من ذلك رأى أن الدين نظام موحد من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة. ومن منظور "دوركايم" كان الدين يتسم بالاندماج الاجتماعي وتشارك القيم والخبرات، وأن الكنائس تعبير عن المجتمع. ومن ناحية أخرى يهتم السحر بالمعاملات بين الأفراد. وبصفته نموذجًا من نماذج الاعتقاد فإن السحر لا يلعب أيّ وظيفة في التلاحم الاجتماعي، وبصفته ممارسة فإنه يهتم بتقديم خدمة لزبائن. فالسحر والدين تجمعهما معتقدات وطقوس وعقائد متشابهة، لكن اختلاف وظيفة كل منهما الاجتماعية هو الفارق بينهما.(ديفنز، 2017، ص22)

فتتبع فكرة دوركايم عن الأسطورة تحديدًا من مناقشته لمفهوم التصورات الجماعية: "إن أساطير المجموعة هي نظام المعتقدات المشترك بين هذه المجموعة. فتعبر التقاليد التي تخلد ذاكرتها عن الطريقة التي يمثل بها المجتمع الإنسان والعالم: إنه نظام أخلاقي وعلم كوني بالإضافة إلى أنه تاريخ. ومن خلاله تجدد الجماعة بشكل دوري المشاعر التي لديها عن نفسها وتؤكد وحدتها. وبالتالي فإن الأساطير أو الطقوس أمر حاسم لخلق الاحترام الفردي وتبجيل المجتمع وكذلك الهوية الجماعية. (Twing,1998,p.14)

في القرن العشرين، أصبحت النظريات الكبرى الخاصة بالسحر والدين محل هجوم وما عاد الباحثون يُسلمون دون جدال بحقيقة أن السحر شكل بدائي وأثر باقٍ مناقض للدين والعلم الحقيقيين كما قدم علم الأنثروبولوجيا أيضًا مفردات ومصطلحات جديدة مثل: الخير المحدود والرؤية الكونية السحرية في محاولة لتفسير السبب في نجاح السحر مع الناس.(ديفنز، 2017، ص25)

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

ونجد على سبيل المثال، "ستانلي تامبيا" – المولود عام 1929– انطلق من أساس أن الأعمال السحرية هي أعمال شعائرية وليست علمًا تطبيقيًا، ثم قادته قراءته للفلسفة اللغوية إلى صياغة السحر على أساس ليس علمًا سيئًا وإنما فنًا بلاغيًّا فهو مزيج من الكلام والأداء والذي بمجرد تأديته يحدث تغيرًا في الحالة. والسحر يؤدي مفعوله المنشود في الوقت الذي يقول فيه الساحر أنه سيؤدي مفعوله، على الأقل إذا كان الأداء قد تم بصورة صحيحة.(ديفنز، 2017، ص25)

ثانيًا: الأسطورة والمجتمع

يلاحظ أن الأسطورة والسحر متشابكان بشكل وثيق في الثقافة المصرية. فتتكرر بعض الأحداث الأسطورية كإطار للتعاويذ أو تلهم رمزية التماثيل والتمائم السحرية. فتعتبر الأساطير الرئيسية بمثابة تمهيد أساسي لفهم السحر المصري.(محمد،2022، ص 13)

فالحكاية الأسطورية Legend تتغلغل عميقًا في الحياة داخل المجتمع. وتلعب الأسطورة myth الوظيفة الأكثر أهمية. فالأسطورة كبيان للواقع البدائي الذي ما زال يعيش في الحياة اليومية الراهنة، وكتبرير بواسطة السلف، تقدم نمطًا استرجاعيًّا للقيم الأخلاقية، والنظام الاجتماعي، والاعتقاد السحري. إنها لهذا ليست مجرد حكاية، ولا شكلاً من العلم، ولا فرعًا من الفن أو التاريخ، وليست حكاية توضيحية. إنها تؤدي وظيفة أصيلة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بطبيعة التقاليد واستمرارية الثقافة. فوظيفة الأسطورة باختصار هي تقوية التقاليد وتتويجها بقيمة ومكانة أكبر بإرجاعها إلى واقع أعلى وأفضل. لهذا فإن الأسطورة مكون لا غنى عنه لجميع الثقافات. إنها تتجدد على الدوام، فكل تغير اجتماعي يخلق أساطيره التي مع ذلك ليس لها سوى علاقة غير مباشرة مع الحقيقة التاريخية. (مالينوفسكي، 2021، ص 190)

ففي أحد الدراسات–الحديثة– عن الأسطورة، أوضح ويليام جي دوتي William G Doty أنه جمع أكثر من خمسين تعريفًا مختلفًا للأسطورة، وأن المزيد من البحث قد يؤدي إلى المزيد من التعريفات. ويمكن تفسير هذا إلى أن العلماء من التخصصات المتنوعة مثل: الدين وعلم النفس

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

والأنثروبولوجيا، قد اهتموا بدراسة الأسطورة ووجدوها مجالاً ثريًا للمعرفة والخبرة البشرية، وصاغوا تعريفات عملية مختلفة للمصطلح بناءً على الشروط الأساسية لتخصصهم. (Birrell, 1993, p3)

لذا نظريات الأساطير عديدة ومختلفة، ومن أهم هذه النظريات التي لها علاقة في كتابة التاريخ هي النظرية الأنثروبولوجية والنظرية التاريخية والنظرية الجغرافية. فللأسطورة دورًا كبيرًا في التاريخ الإنساني. فمنذ مجيء العلم الحديث رفض "كلود ليفي شتراوس" الأسطورة كنتاج خاص بالعقول التي تفكر بطريقة خرافية، وإنما عدها طريقًا للوصول إلى ما هية علم التاريخ في حقيقة الأمر. وقد اتفق علماء الأساطير على تقسيم قارة آسيا إلى مناطق متجانسة أقربها منطقة الأساطير الآرية وتضم الهند وفارس ثم منطقة الأساطير السامية وتشمل الشرق الأدنى القديم إضافة إلى اليونان.(حسين، 2009، ص 85)

وابتداءًا من القرن التاسع عشر أصبحت الأسطورة موضوعًا لاهتمام العلوم المختلفة، فاهتم بدراستها علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع وعلماء النفس والفلاسفة والباحثون في الفولكلور. ومن ثم اختلفت مقاربات الأسطورة. فمنها من اهتم بوظيفتها شأن مقاربة عالم الأنثروبولوجيا "مالينوفسكي" Malinovsky الذي ذهب إلى أن الأسطورة تضطلع في المجتمعات البدائية بوظيفة ضرورية فهي تعبر عن المعتقدات وتسمو بها وتقننها وتحفظ المبادئ الأخلاقية وتفرضها كما تضمن نجاح الاحتفالات الطقوسية وتوفر للإنسان قواعد سلوك عملية. ومن المقاربات ما رأى أصحابها دراسة الأسطورة لذاتها، فقد أدرك "جورج دوميزيل" Georges Dumezil أن المقارنة بين عدد من الأساطير تسمح بتبين بناها المشتركة. ولاحظ "ليفي ستراوس" levi Strauss أن الأساطير تتكرر في مناطق مختلفة من العالم محافظة، على الرغم من تنوعها على خصائص معينة. فأسطورة الطوفان كائنة في ملحمة جلجامش السومرية وفي التوراة وعند هنود أمريكا اللاتينية. (القاضي وآخرون، 2010، ص 25)

يرى "نورتروب فراي" Northrop Frye أن وظيفة الأسطورة تتعدى الإبلاغ لذاته إلى محاولة تفسير بعض خصائص المجتمع الذي تنتمي إليه تلك الأسطورة، كأصل القانون والطوطم والطبقات المسيطرة والمؤسسات الاجتماعية. أمّا "بيار برونال" Pierre Brunel فيحدد وظائفها فيما يأتي:

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

1. الوظيفة التبليغية: أيّ أن الأسطورة تروي قصة، فهي تحكي وتبلغ شيئًا ما.
2. الوظيفة التفسيرية: حيث يرتبط منشأ الأسطورة بتفسيرها لظاهرة ما.
3. الوظيفة الاستكشافية: تحاول الأسطورة أن تميط اللثام عن حقائق الإنسان والإله، بطابع قداسي يمنح الأسطورة بعدًا دينيًّا.

ويضيف "فيليب سيليي" Philippe Sellier إلى هذه الوظائف وظيفة اجتماعية – دينية حيث اعتبر الأسطورة عنصرًا مؤسسًا للجماعة من خلال تحديدها جملة من المعايير الحياتية التي تجعل المقدس يكتنف الحاضر. (حمد، 2017، ص 86)

في إطار وظيفة الأسطورة، يمكننا أن نتحدث عن تفاعل وجهين متلازمين، يؤثر أحدهما في الآخر ويؤدي في الوقت ذاته وظيفة مغايرة له، وهذا ما يفسر الطابع المركب الذي تتميز به وظيفة الأسطورة.

الوجه الأول معرفي، يعكس رغبة المجتمعات القديمة صانعة الأسطورة في اكتشاف أسرار الكون والحياة الاجتماعية، ثم استيعابها لتتمكن من التعامل مع ما يحيط بها من ظواهر طبيعية واجتماعية، والتكيف مع مقتضياتها. ويلاحظ بخصوص هذا الوجه أنه لم يقتصر على موضوع واحد بعينه، بل شمل عددًا كبيرًا من الموضوعات التي اتسمت بتفاوتها من جهة الأهمية والخطورة. وما يتسم به هذا الوجه هو أنه يتكئ على مسعى المجتمعات القديمة في سبيل الدخول إلى عالم الطبيعة المجهول، ورغبتها في إيجاد مرتكزات عدة تستطيع اعتمادًا عليها أن تواصل سيرها، وتحصّل لنفسها ما يمكنها من تجديد دورتها الحياتية، وذلك على اعتبار أن الأسطورة تتيح إمكانية التعرف إلى أصول الظواهر الضرورية، ومن ثم إمكانية جعلها تظهر ثانية بعد اختفائها. غير أن الطبيعة لم تكن هي الميدان الوحيد الذي استأثر باهتمام الأسطورة، وإنما كان للحياة الاجتماعية نفسها حيز لا يمكن تجاهله في هذا المجال؛ إذ إنها مثلت حقلاً خصبًا تمحور حوله العديد من التصورات الأسطورية، خصوصًا تلك التي تتصل بجوانب التنظيم الاجتماعي، وكذلك تداخلات مراحل التطور التاريخي، إضافة إلى الخصومات المتلاحقة بين ممالك المدن المختلفة. هنا يجدر التنوية بالصفة الاعتقادية التي طبعت الجانب المعرفي في

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الأسطورة، فعلى الرغم من أن الأسطورة كانت حصيلة ذهنية لجهود جماعات إنسانية أرادت أن تستوعب ذاتها والعالم المحيط بها، ومن ثم اكتشاف أوجه التواصل والتفاصل بينها وبينه، يلاحظ أن الطابع الاعتقادي الجازم ظل مهيمنًا على الأسطورة، بل اتسعت دائرة الهيمنة تلك في العصور اللاحقة، بعد أن اكتشفت القوى الاجتماعية المتنفذة مدى جدوى استخدام الأسطورة في عملية تكريس نفوذها. ويتجلى الطابع الاعتقادي للاسطورة في صياغتها مسلماتها وتصوراتها وكأنها الحقائق حول طبائع الأشياء. (سيدا، 2022، ص 82–83)

مهما اختلف علماء الأساطير حول تفسير الأسطورة وتعليلها ونشأتها وتصنيفها هل هي داخل علم الاجتماع أو علم الأنثروبولوجيا أو الأثنولوجيا أو التاريخ أو الدين، الواقع أنها تقع ضمن نطاق هذه العلوم الإنسانية كافة أمّا اختلافهم فينصب في التفسير والقيمة الاجتماعية.(حسين، 2009، ص 89)

فقد كانت نظريات القرن التاسع عشر تنحو إلى النظر إلى موضوع الأسطورة باعتباره العالم المادي، وإلى الوظيفة باعتبارها التفسير الحرفي أو التعبير الرمزي عن ذلك العالم. وكانت الأسطورة تُعتبر على نحو نموذجي النظير البدائي للعلم الذي كان يُفترض حديثًا في مجمله. ولم يجعل العلم الأسطورة مجرد شيء لا لزوم له، بل جعلها غير متوافقة معه على الإطلاق؛ ولذا توجب على الحداثيين لفظها. في المقابل لم تمل نظريات القرن العشرين إلى النظر إلى الأسطورة باعتبارها نظيرًا للعلم عفا عليه الزمن، سواء فيما يتعلق بالموضوع أو الوظيفة؛ بناء عليه لا يتوجب على الحداثيين الاستغناء عن الأساطير من أجل العلم. (سيجال، 2017، ص 13)

وللأساطير ملامح تاريخية عديدة فهي تدرس التاريخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ولها علاقة بكافة علوم الإنسانية وبواسطتها يتشكل الحس التاريخي لدى الإنسان البدائي فحينما أخذ الإنسان منذ فجر التاريخ يقص على ابنائه قصص أسلافة ممتزجة بعاداته وتقاليده ومعتقداته بدأ التاريخ يظهر إلى حيز الوجود في صورة بدائية وبدأ الإحساس يتكون في ذهن البشرية منذ أقدم العصور. (حسين، 2009، ص 89)

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

ومن ثم يهتم البحث الحالي بالتعرف على أسطورة السحر التي خُلقت من خلال التغيرات الاجتماعية التي مرت بها كلٍ من مصر واليمن والوقوف على أوجه التشابه والمشتركات الثقافية، ولكن قبل البدء في عرض المشتركات الاجتماعية والثقافية بين مصر واليمن لا بد أولاً من توضيح –بصورة مختصرة– المناهج المستخدمة في هذا البحث حيث اعتمد على كلٍ من المنهج التاريخي والمنهج المقارن أو إذا جاز لنا التعبير منهج التاريخ المقارن.

أمّا عن المنهج المقارن فيعتمد على بحث وتفسير الظواهر الثقافية والاجتماعية والمعرفية انطلاقًا من إبراز الأصول المشتركة أو القرابة التكوينية بين الظواهر. وقد طبق المنهج المقارن بصفة خاصة من قبل "أوجست كونت" في مؤلفه "دروس في الفلسفة الوضعية". وفي الفيلولوجيا –فقه اللغة المقارنة– الذي تطور في ألمانيا على يد "جاكوب غريم" و"أوجست فريدريك" و"أوجست شلايماخر"، كما طوره "فرردينياند دي سوسير" في سويسرا.

ومن أقدم من نبه للمنهج المقارن في مجال التاريخ الفيلسوف ومحلل اللغة الألماني "ك.ف.همبولت" (1767–1835) لا سيما في مؤلفه "حول مهمة المؤرخ" عام 1821 لكنه ظل أسير نظرية كانط الفلسفية رغم أنه كان يميل للمثالية الموضوعية في تحليله للتاريخ الاجتماعي. وقد سبق ل"دوركايم" أن نبه إلى أن التاريخ لا يمكن أن يكون علمًا إلا عبر التفسير، ولا يمكنه أن يفسر إلا عبر المقارنة. (يحيي، 2015، ص 11)

ثالثًا: المشتركات المصرية اليمنية

قامت حضارة بلاد اليمن على التجارة بحكم توسطها بين أمم العالم القديم. فكانت تأتي إليها المتاجر من الهند وجزائر الهند الشرقية وبلاد الصين وسواحل أفريقيا، فترسو بها السفن على شواطئ اليمن ثم تنقل إلى صنعاء أو مأرب حيث تحملها ظهور الإبل في قوافل ضخمة إلى الشام والعراق ومصر وحوض البحر الأبيض المتوسط (نافع، 2017، ص 88) وكانت دولة سبأ مركزًا وسطًا بين دول الحضارات القديمة في الهند وفي مصر وفي وادي دجلة والفرات وفي الشام وفي بلاد اليونان والرومان. وبحكم موقعها الجغرافي فقد كانت تشرف على طرق التجارة العالمية سواء منها الطرق

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

البحرية عبر البحر الأحمر والخليج الفارسي والمحيط الهندي أو طرق القوافل الممتدة عبر الصحاري العربية وكانت سبأ تنتج البخور الذي كان من أهم السلع العالمية، في إحياء الطقوس الدينية القديمة. (العقاب،2009، ص 12) فقد عرفت اليمن قديمًا بتجارة العطور والبخور والمر والصمغ والكافور والورس وهو نبات كان يستخدم في الصباغة، وكانت مصر تستهلك كميات كبيرة من اللبان والبخور في المعابد وفي تحنيط الموتى. (عصفور، 1981، ص 250)

كما كانت قبيلة يافع من أهم القبائل الحِميّرية اليمنية التي جاءت مع جيش الفتح الإسلامي لمصر بقيادة عمرو بن العاص في سنة 20 هجرية. وملاءت أحياء مدينة الفسطاط وبعد أن استقر الأمر في الفسطاط جعل عمرو بن العاص طائفة من جيشه بالجيزة. وأمرهم عمرو بالخطط بها فاختط ذو أصبح من حِمَير في الشرق، وتوسطت يافع الجيزة بخططها. ولا شك أن أعدادً كبيرة لاحقة من المهاجرين اليافعيين قد انضموا إلى خطة يافع بن زيد إذ كانوا يلتحقون بأسلافهم مثلما فعلت بقية القبائل الأخرى التي استمر تدفقها إلى مصر. (الخلاقي، 2019، ص 111–121 بتصرف)

كذلك احتل حكام مصر (المماليك) مكانة خاصة في قلوب سلاطين بني رسول، وتتضح تلك المكانة من خلال الحزن الشديد الذي أصاب السلطان الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس عندما وصل إليه خبر وفاة سلطان مصر الظاهر برقوق، حيث أمر الأشرف بإقامة صلاة الغائب عليه في جامع زبيد، كما أمر بالقراءة عليه سبعة أيام في مدينة تعز وزبيد وعدن. وفي عهد السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل زادت العلاقة بين اليمن ومصر توثيقًا، لا سيما بعد أن كتب السلطان الناصر فرج المملوكي إلى الشريف حسن بن عجلان أمير مكة المكرمة يأمره بإعادة الخطبة للسلطان الرسولي على أثر قطعها سنة 1401م فاستُأنفت السفارات بين البلدين مرة أخرى.(هديل، 2021، ص 196)

وفي عصر محمد علي باشا، نجد أنه بعدما قمع الفتنة في المورة رأى أنه مطالبًا بأن يسلم هذه البلاد القاحلة إلى سيدها الشرعي. أي المولي الأكبر واسترجاع جنوده وسد ما حدث في الصفوف من الفراغ، كما رأى نفسه مطالبًا بفتح اليمن والاستيلاء على شواطئ البحر الأحمر وتوطيد دعائم

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الأمن في الخليج الفارسي. (دودويل، 2017، ص 79) وأحدث محمد علي تغييرات في أنظمة الصناعة والزراعة والتجارة وأنشئ أسطول مصري قوي سيطر على البحر الأحمر.

ويلاحظ أن مضيق باب المندب أحد أهم الممرات المائية في العالم حيث يربط بين البحر الأحمر وخليج عدن الذي تمر منه كل عام ما يمثل 7 % من الملاحة العالمية، وتزيد أهميته بسبب ارتباطه بقناة السويس وممر مضيق هرمز، وينعكس هذا الموقع الاستراتيجي في العلاقات السياسية التاريخية ففي حرب أكتوبر 1973 أغلق باب المندب طوال الحرب، وأيضًا بعد محاولة الحوثيين السيطرة عليه، مع اندلاع الحرب في اليمن جاء التأكيد من الحكومة المصرية بأن تأمين مضيق باب المندب أمن قومي. (موقع الهيئة العامة للاستعلامات، 8 ديسمبر 2014)

رابعًا: أسطورة السحر عند المصريين واليمنين

يُعد السحر من المعتقدات القديمة التي عرفها سكان بلاد وادي الرافدين وسائر الشعوب الأخرى خاصة الفراعنة في مصر، وإذا كانت العرافة ترتبط بالمعتقد الديني والاتصال مع الآلهة التي من صنع البشر، فإن السحر يقوم على مبدئين يرجعان إلى المنطق البدائي وهما: الاعتقاد بإمكانية إحداث الشيء بتقليد مبدأ حدوثه فمثلاً إن صنع دمية تشبه شخصًا ومن ثم كسر يدها أو إتلاف عينها يلحق بالرجل المقصود نفس الأضرار التي لحقت بالشبه. والاعتماد بأن الأشياء التي كانت جزءًا من جسم الإنسان تبقى على صلة به حتى بعد انفصالها عنه فمثلاً كانوا يعتقدون أن بمقدور الساحر أن يسبب الأذى لشخص معين من خلال تأثيره السحري في خصلة من شعره أو قلامة أظفره أو ضرسه المقلوع أو ثياب استخدمها، هذا ما كان يعتقده السحرة والعامة في عام 2000 ق.م أيّ قبل أربعة آلاف سنة. (ناجي، 2013، ص 92)

وكان قدماء المصريين يعتقدون أن كل داء من أعمال الأرواح الخبيثة تتسلط بقوتها الشريرة على الأجسام، فتحدث بها الأمراض، وهذه القوة الشريرة عند قابلتها بالتأثير الأقوى تتلاشي ويشفى المريض. فكان للعلاج عندهم طريقان الأول بالتأثيرات الروحية التي يعتقدونها محصورة في بعض الكهنة والسحرة، والطريق الثاني استعمال العقاقير الطبية المعتادة لطلب الشفاء، لأن المعبود تحوت

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

رئيس السحرة كان أوصى إلى قومه بتأثير سرها وأنها من الخواص الملموسة باليد، ففائدتها تكون أكثر وأنفع من تلك القوى الروحية المعنوية التي قد لا تؤثر في أحيان كثيرة. (جيار وريتر، 2020، ص 89-90)

فاشتملت العديد من التعويذات على خطب يتلوها الطبيب أو المريض من أجل التعرف على شخصيات في الأسطورة المصرية. ربما أعلن الطبيب أنه تحوت إله المعرفة السحرية الذي شفى عين الإله حورس الجريحة. إن تمثيل الأسطورة سيضمن شفاء المريض مثل حورس. كما تم أحيانًا نقش مجموعات التعويذات والحماية على التماثيل والألواح الحجرية (المسلات) للاستخدام العام. فهناك تمثال للملك رمسيس (1184-1153 قبل الميلاد) يوفر تعاويذ لإبعاد الثعابين وعلاج لدغات الأفاعي. ويظهر نوع اللوحات السحرية المعروفة باسم Cippus دائمًا الإله الرضيع حورس يتغلب على الحيوانات والزواحف الخطرة. البعض لديه نقوش تصف كيف سمم أعداؤه حورس، وكيف توسلت والدته إيزيس من أجل حياة ابنها، حتى أرسل إله الشمس رع تحوت لشفائه. تنتهي القصة بوعد أن أي شخص يعاني سيشفى كما شفي حورس. يمكن الوصول إلى القوة في هذه الكلمات والصور عن طريق سكب الماء فوق القبو ثم يشرب المريض الماء السحري، أو يستخدم لغسل جرحه. (محمد،2022، ص 4)

يُعرف الرمز المصري القديم عين حورس Eye of horus أيضًا باسم Wedjat, udjat,Uto والذي يمثل الشفاء، والحماية، والصحة الجيدة، والحظ السعيد، والقوة الملكية، والتضحية، والصفات العلاجية، وأشهر الرموز المصرية القديمة. كانت العين اليسرى ملكًا لإله السماء حورس الذي وهبها لإنقاذ والده أوزوريس الذي أصبح حاكمًا للعالم السفلي، تمت استعادة العين فيما بعد بعد إنقاذ حياة والده. العين اليسرى لحورس هي رمز مصري قديم يمثل القدرات السحرية وقوى السماء التي استعادها حتحور أو تحوت. كان هذا الرمز مشهورًا وقويًّا للغاية في ذلك الوقت حيث كان يتمتع بقدرات علاجية واستخدم كأداة طبية لقياس المكونات أثناء صنع الدواء بالإضافة إلى أنه كان يعتقد أن عين حورس لديها المعرفة والقوة الرياضية. وتعتبر عين حورس مثالاً رائعًا للمعرفة الرياضية للمصريين القدماء حيث تنقسم عيون حورس إلى ستة أجزاء وتم إعطاء كل جزء كسرًا كوحدة قياس.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

كل الأجزاء الستة للعين مرتبطة بحاسة مختلفة حيث يمثل الجانب الأيمن من العين الرائحة، والبؤبؤ يمثل البصر، والجانب الأيسر يمثل السمع، والذيل المنحني الذي يشبه اللسان يمثل الذوق، والدموع تمثل الذوق ولمس واتصال وصلة. صنعت تمائم العين من الذهب واللازورد والعتيق وعثر عليها بين الأموات والأحياء. تمثل العين القمر وتعتبر رمزًا للتضحية. يتوافق رمز عين حورس مع موقع العين الثالثة مفتاح الاستبصار. تُعرف عينه اليمنى باسم عين رع إله الشمس. (محمد،2022، ص 232)

يذهب علماء الآثار المصرية إلى أن الشعائر والطقوس السحرية ترجع إلى ما قبل عهد الأسر بل وإلى ما قبل العهد التاريخي، وتذهب الأساطير إلى أن شم ولد نوح جاء إلى مصر وهو في الثلثمائة من عمره، وذلك بعد الطوفان بمائة وتسعين عامًا وحكم مصر لمدة 161 سنة أخرى وكان السحر وقتذاك في مرتبة عالية. وتذهب الرواية اليهودية إلى أن نوحًا نفسه كان ساحرًا. وقد حكت القصص الكثيرة الواردة في الكتابات المصرية واليونانية الإجراءات السحرية لإحياء الموتى. ومعروف أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن الموتى سوف يبعثون في الحياة الأخرى ولكن هناك روايات تدل على أن بعض محاولات السحرة المصريين كانت ترمى إلى إعادة الحياة أو بوجهٍ أصح إلى إحياء البدن بعد موته وأن هذه المحاولات قد تمت بنجاح أكثر من مرة. وقد حفظت لنا بعض الأساطير المصرية الكثير من الأعاجيب التي كان يقوم بها السحرة في مصر القديمة منها أنهم كانوا يصنعون التماثيل على هيئة التماسيح ثم يقرأون عليها بعض التعاويذ ويلقون بها في الماء فتنقلب تماسيح حية تفترس كل من يقترب منها أو يشقون الماء بلمسة من عصيهم فيستطيع أن يرى المشاهد قاع البحيرة أو النهر مثلاً. (الشنتاوي، 1957، ص26-27)

وهناك العديد من العادات المصرية القديمة الباقية في مصر إلى الآن فنذكر على سبيل المثال:

- القطط إلى الآن لها عند العوام منزلة خاصة فهم يرعون جانبها ويحسنون معاملتها ويتجنبون ضربها. وهم يعتقدون أن الأرواح والجان يتلبسون أجسام هذه القطط ويظهرون بأشكالها. وتفسير هذه الأفكار والمعتقدات الغامضة هو أن القطط كانت إحدى معبودات المصريين القدماء يعبدونها باسم الإلهة باستت.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

- ويعتقد العوام من الناس أن لكل منزل ثعبانًا يحرسه، فهذا الاعتقاد يرجع إلى أن المصريين القدماء كانوا يعبدون أحيانًا ثعبانًا كبيرًا يظنون فيه الخلود، ويعتقدون أنه يسكن حقلاً أو غابة أو كهفًا أو جبلاً يقوم على حمايته، ولدينا بالمتحف المصري تمثال ثعبان وجد بمعبد أتريب (أي بنها الحالية) ووضع هناك لحمايته. أمّا ما نجده أحيانًا معلقًا على أبواب المنازل من تماسيح محنطة، فما هي إلا بقية من بقايا عبادة هذه الحيوانات في عصر الفراعنة، إذا كان التمساح إلهًا عبدوه وسموه سبك.
- يعتقد العوام الآن أن لكل شخص أختًا تحت الأرض أو قرينة تولد معه، فهذا الاعتقاد ورثناه عن الفراعنة الذين كانوا يعتقدون أن كل شخص له روح أو قرين أطلقوا عليها كا، وكانت هذه الكا تعيش معه، فإذا مات تبعته إلى المقبرة. (كمال، 2019، ص 12)

ونجد من بين الأساطير الحبشية أن أهل الحبشة كانوا يعبدون الثعبان "أروى" وأنهم كانوا يقدمون له في كل عام فتاة عذراء يضحون بها له، وأن الاختيار وقع في أحد الأعوام على الفتاة "ماكدا" إلا أنهم قبل أن يقذفوا بها إلى الثعبان يأتي رجل غريب ينقذها ثم يتزوجها، وبعد ذلك تصير ملكة على سبأ. ويرى البعض أن الثعبان إنما كان رمزًا لملكة سبأ بينما كان الإله محرم رمزًا لحكمة سليمان ويظهر أن مخترعي قصة ملكة سبأ والثعبان ومخترعي القصة السابقة للملكة وساقي الحمار المكسوتين بالشعر كانوا متأثرين بأسطورة الجنية ليليت التي تقمصت جسد ثعبان والتي تظهر في الليل عارية يكسوها الشعر وهي بساقي حمار. ومن مكتشفات البعثة الألمانية للتنقيب عن آثار أكسوم في 1906م أن جزءًا من الأريتريين والأحباش الشماليين كانوا يعبدون الثعبان "أروى". وأيضًا الجن والأرواح (الزار) سواء كانت للخير أم للشر، وكانت حسب اعتقادهم تكمن في الأشجار وعيون الماء والأشياء، وبالإضافة إلى اعتقادهم بآلهة جنوب الجزيرة العربية حدث تطور في العبادة الوثنية؛ فقد أدخلت عبادة الإله الأرض والإله البحر وإله الحرب الأعظم (محرم)، والواقع أن الثعبان أروى كان رمزًا للأنهار والسيول التي تُغرق القرى والمزارع وتهلك الماشية في بعض المواسم والتي سيطر عليها العرب الجنوبيون بتشييدهم السدود والقنوات والسواقي والخزانات التي كبحت جماحها والتي لا تزال بقاياها موجودة في جنوب الجزيرة العربية وأريتريا والحبشة، وقد عثر علماء الآثار على لوحات

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

عديدة في أنحاء من جنوب الجزيرة العربية حُفر عليها رسم الثعبان الذي كان يرمز إلى إله الفجر "سحر"، وكان للمعينيين صنم يُمثل الثعبان "تهمس طب" أي الثعبان الطيب. وكلمة "أروى" بالعربية تعني المعزة الجبلية الرشيقة، وبالعبرانية "آريه" وتعني الأسد، وبالأكادية "آرو" وتعني طائر العُقاب، وبالجعزية والتجرينية "أروه" وتعني الثعبان. (لقمان، ص 52-53)

واسم ملكة سبأ في الأسطورة وأقوال المؤرخين هو بلقيس، أمّا الكتب المنزلة فلا تعطيها اسمًا، ففي الفصل العاشر من سفر الملوك الثالث في التوراة "وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان واسم الرب، فقدمت لتختبره بأحاجي" والإنجيل يدعوها "ملكة التيمن" والقرآن يذكر أنها ملكة سبأ: "فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سبأ بنبأ يَقِينٍ* إِنّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شيء وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ" (البستاني، 2017، ص 70)

ورد في العهد القديم أن جن سليمان هم الذين شيدوا مدينة "تامار" أو "تدمر"؛ أيّ التمر أو مدينة التمر، وهذه الحكايات وغيرها كانت شائعة بكثرة شديدة بين العرب الجاهليين حول أحداث وخرافات ومأثورات وأساطير سليمان وبلقيس ملكة سبأ. ويرى البعض أن اسم بلقيس مشتق من تسمية إله القمر عند السبأيين الذي لُقب في اليمن ب "المقة" ومنه جاء اسم الملكة بلقيس، كما يُذكر أن من اسمه تواترت تسمية مكة المكرمة. ومما يؤكد هذا الرأي أن نقوش المسند حفظت أسماء مجموعة من المعابد خُصصت لعبادة الآلهة القمرية "المقة"، من أشهرها هذا المعبد الذي زارته إحدى البعثات الحفرية الأمريكية، وهي بعثة "وندل فيلبس" وما تزال بقايا هذا المعبد قائمة، ويُعرف لدى اليمنيين باسم حرم بلقيس أو محرم بلقيس. كما أن في مدينة صرواح عاصمة ممالك سبأ معبد آخر لآلهة القمر "المقة" يُعد أكثر قدمًا، ذكر المؤرخ "هاليفي" أن به بقايا جدران شاهقة، عليها كتابات بالخط المسند، ويُطلق على ما تبقى من خرائبه "عرض بلقيس". وتروي بعض هذه الخرافات أنه بعد تزوج سليمان بلقيس، وأنجب منها "رحبعم" الذي خلفه بعده على ملك اليمن، ضاع من سليمان خاتم ملكة، أو أن الأقدار ابتلته فضاع ملكه، وكيف أن ساحرًا كتب سحرًا وجعله تحت ملك سليمان، وسحر به أصف بن برخيا –كاتبه الذي لا تزال الذاكرة الشعبية تحفظ اسمه – وكيف أن الشيطان تمثل في صورة سليمان، ودخل على نسائه، وكن يبلغن ثلثمائة زوجة، وسبعمائة جارية ومحظية. ورواج

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

خرافات الجن والشياطين في ثنايا تاريخ هذه الحضارة الحميرية، والتي تداخلت في نسب ملوكهم مثل بلقيس، وذي القرنين، والملك ناشر النعم، بالإضافة إلى أن قبائل بكاملها، أرجعت إلى الجن، مثل بني ملك وبني يربوع، ومن المرجح أن تكون فكرة الجن في منشأها فكرة دخيلة، جاءت بها هذه الحضارة الحميرية المبكرة خلال حروبها وفتوحاتها، واتصالاتها الأسيوية المبكرة فيما يجاورها من حضارات، خاصة الآرية في الهند وفارس. (عبد الحكيم، 2017، ص 19–20)

جاء ذكر ملكة سبأ في الكتاب الحبشي "متحفًا نجست" متحف الملوك، أنها كانت ملكة لسبأ التي تقع بالقرب من مدينة أكسوم وأن مملكتها شملت كلاً من شاطئي البحر الأحمر، شاطئي أريتريا وشاطئ اليمن، وأن الذي وحد هذين الشاطئيين هو جدها الملك عنجبوس الذي خلفه في الحكم ابنه تيواسا والد ماكدا التي صارت بعده ملكة على سبأ.(لقمان، ص48)

أهم الاستخلاصات:

تُعد أسطورة السحر من الظواهر الثقافية المتشابهة التي توجد في أماكن مختلفة في العالم فقد انتقل الاعتقاد في الأرواح والشياطين والثعابين خاصة، من خلال التقارب والانتشار الثقافي بين مصر واليمن فيما يعرف بالتناظر الثقافي.

فالاعتقاد في السحر ليس ظاهرة فردية أو من صنع فرد بعينه بل هي ظاهرة جماعية تتجاوز البعد التاريخي فليس هناك تاريخ محدد لظهور الاعتقاد في السحر بل هذا الاعتقاد نتيجة وجود مواقف إنسانية عامة كالخوف من المرض والرغبة في الشفاء السريع بالإضافة للأنشطة الإنسانية العامة التي يتعرض لها الفرد.

يلاحظ تشابه الظروف إلى حدٍ ما بين مصر واليمن مما نتج عنه تشابه في الأفكار المتعلقة بالسحر فالمعتقدات السحرية تكاد تكون متماثلة حيث الإيمان بقدرة الجن وتسخيره لتحقيق رغبات الإنسان. فهناك العديد من الأحداث التاريخية وكذلك قد أثر الموقع الجغرافي للبلدين فكانت القاهرة حلقة الوصل بين قارتي آسيا وأفريقيا ومركزًا ثقافيًّا وفكريًّا يتوجه إليه اليمنيون، وأبرز مثال على التواصل بين البلدين تلقي وإرسال الملك المصري تحتمس الثالث هدايا من التجار السبئيين وكان

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

التجار اليمنيون المورد الرئيس للبخور إلى المعابد المصرية القديمة. فكما أوضح "جورج دوميزيل" Georges Dumezil أن المقارنة بين عدد من الأساطير تسمح بالتعرف على بنائها المشترك، وأيضًا يتفق بحثنا الحالي مع ملاحظة "ليفي ستراوس" levi strauss وهي أن الأساطير تتكرر في أماكن مختلفة في العالم محافظة رغم تنوعها على خصائصها.

ومن بين الأساطير التي تكررت في مصر واليمن إن المصريين القدماء كانوا يعبدون أحيانًا ثعبانًا كبيرًا يظنون فيه الخلود، ويعتقدون أنه يسكن حقلاً أو غابة أو كهفًا أو جبلاً يقوم على حمايته، ونجد من بين الأساطير الثعبان "أروى" الذي يقدمون له في كل عام فتاة عذراء يضحون بها له، وأن الاختيار وقع في أحد الأعوام على الفتاة "ماكدا" إلا أنهم قبل أن يقذفوا بها إلى الثعبان يأتي رجل غريب ينقذها ثم يتزوجها، وبعد ذلك تصير ملكة على سبأ.

خاتمة:

ارتبطت مصر واليمن بعلاقات متميزة على مر العصور، كما شهدت السنوات الأخيرة دعم مصر لشعب اليمن. فيجمع البلدين أبعاد تاريخية وجغرافية، حيث اشتراك مصر واليمن في إنهما أصحاب حضارات، فقامت على أرض اليمن حضارات قديمة أشهرها حضارة سبأ وحِمَير ومملكة حضرموت وقتبان، وعرفت اليمن أيام تلك الممالك باسم العربية السعيدة في كتابات اليونان الكلاسيكية. وفي مصر نجد الحضارة الفرعونية والعصر اليوناني والعصر الروماني والعصر القبطي والحضارة الإسلامية. كما لعب الموقع الجغرافي دورًا مهمًا في توطيد العلاقات المصرية اليمنية فمرور مضيق باب المندب في الأراضي اليمنية وكذلك قناة السويس في مصر كان له أثره في التبادل التجاري. كما أن العلاقات الثقافية أحد أبرز عوامل الارتباط بين اليمن ومصر، وهي علاقات كانت دائمًا بعيدة عن تأثير الظروف والعوامل السياسية، فقد حافظ الاتصال الثقافي بين اليمن ومصر على مستوياته المرتفعة وعلى تأثيره في علاقة الشعبين.

ومن هنا يمكن القول أن الأحداث التاريخية والموقع الجغرافي الاستراتيجي عوامل أصقلت العلاقات المصرية اليمنية منذ قديم الأزل، حيث كانت القاهرة معبرًا للتجارة في المنطقة العربية وحلقة

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

وصل بين قارتي آسيا وأفريقيا، ومركزًا ثقافيًّا وفكريًّا يتوجه إليه اليمنيون. وكل هذا انعكس على أسطورة السحر في التراث الثقافي حيث وجود بعض المشتركات الثقافية والرمزية كما أوضحنا في الاستخلاصات.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

قائمة المراجع

1. دودويل. هنري (2017) الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي
2. ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، علي عبد الواحد وافي مهدلها ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها وحققها وضبط كلماتها وشرحها وعلق عليها وعمل فهارسها، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر
3. البستاني. كرم (2017) أساطير شرقية، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي
4. بوتول. جاستون (2012) تاريخ علم الاجتماع، ترجمة وتعليق غنيم عبدون، مراجعة جلال حسن صادق
5. جيار. يوليوس و ريتر. لويس (2020) الطب والتحنيط في عهد الفراعنة، وكالة الصحافة العربية
6. حسين. فضيلة عبد الرحيم (2009) فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، جمهورية مصر العربية: اليازوري
7. حمد. عبد الله خضر (2017) مناهج النقد الأدبي الحديث، مصر: دار الفجر للنشر والتوزيع
8. الخطيب. محمد (2017) الأديان في المجتمعات البدائية، سوريا، دمشق: دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع
9. الخلاقي. علي صالح (2019) قبائل عربية جنوبية في مصر(المهرة –حضرموت– يافع) في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، المملكة العربية السعودية: دار الوفاق للنشر والتوزيع
10. ديفيز. أوين (2017) السحر؛ مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة رحاب صلاح الدين، مراجعة هبة نجيب مغربي، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي
11. سيجال. روبرت إيه (2017) الأسطورة؛ مقدمة قصيرة جدًأ، ترجمة محمد سعد طنطاوي، مراجعة إيمان عبد الغني نجم، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

12. سيدا. عبد الباسط (2022) الوعي الأسطوري الرافدي: تجلياته الفلسفية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
13. شبحة. بداك (2016) المرأة القبائلية والممارسات الطقوسية السحرية من خلال الأسطورة، في المرأة التجليات وآفاق المستقبل؛ أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي التاسع عشر، 28– 30 أكتوبر 2014، الأردن: جامعة فيلادلفيا، كلية الآداب والفنون
14. الشنتناوي. أحمد (1957) فنون السحر، مصر: دار المعارف
15. عبد الحكيم. شوقي (2017) الرجل والمرأة في التراث الشعبي، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي
16. عصفور. محمد أبو المحاسن (1981) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر
17. العقاب. عبد الوهاب(2009) دور اليمن في العهد الإسلامي الأول، سوريا: دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع
18. القاضي. محمد وآخرون (2010) معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين
19. كمال. محرم (2019) آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية، جمهورية مصر العربية: وكالة الصحافة العربية
20. لقمان. حمزة علي(د.ت) أساطير من تاريخ اليمن، دار نشر عناوين
21. مالينوفسكي. برونسلاو (2021) السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ترجمة فيليب عطية، القاهرة: دار آفاق للنشر والتوزيع
22. محمد .محمد (2022) السحر في مصر القديمة، الناشر المؤلف نفسه
23. مزيد. محمد طاهر علي (2018) سيكولوجية الأدب الشعبي: رؤية سيكوسسيولوجية معاصرة للإبداع الشعبي، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي
24. ناجي. حسن (2013) فكرة أصل المعتقدات وحكاية الاختراعات، ج 1، دروب ثقافية للنشر والتوزيع

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

25. نافع. محمد مبروك (2017) عصر ما قبل الإسلام، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي

26. هديل. طه حسين (2021) المنتقى من تاريخ اليمن الإسلامي، المملكة الأردنية الهاشمية، شركة دار البيروني للنشر والتوزيع

27. يحيي. أسامة عدنان (2015) السحر والطب في الحضارات القديمة، الأردن: عمان، أمواج للنشر والتوزيع

28. Twing, Stephen W. (1998) Myths,Models & U.S. Foreign policy, The cultural Shaping of three Cold Warriors, United States, Lynne Rienner publishers.

29. Birrell.Anne (1993) Chinese Mythology an Introduction, Beltimore and London, the Johns Hopkins university press.

30. الهيئة العامة للاستعلامات، مصر واليمن، 4 ديسمبر 2022، (تاريخ الاطلاع 16 يناير 2023) https://beta.sis.gov.eg/ar/%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9/%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%AB%D9%86%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86/